﴿لَّوۡمَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧﴾ [الحجر: 7]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

المناسبة بين اتّهامه بالجنون، وطلب الإتيان بالملائكة لتصديقه

لَمّا قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾؛ أتبعوه ما زعموا أنَّه دليل على قولِهم، وتقريرٌ لشبهتِهم؛ لأنَّ قصدَهم تكذيب الرسول ﷺ(1).

المَعْنى الإجْماليُّ:

الشّكُّ في صِدق رسول الله، واتّهامه بالجنون، لونٌ مِن سوء الأدَب معه

قال المشركون لرسول اللّه ﷺ: هلّا أتيتَنا بالملائكةِ؛ ليَشهَدوا لك على ما تَقولُ؛ إن كنتَ من الصّادِقينَ في أنَّك رَسولٌ مِن عندِ اللّهِ حقًّا(2).

الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة التَّعبير بقوله ﴿لَّوۡمَا﴾ في السّياق:

إفادة تركيب الآية معنى التَّمنّي، المتولّد منه التَّنديم

قولِه: ﴿لَّوۡمَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾، وفيه أنّه لَمّا تركَّبت (لو) مع (ما)؛ أفادت هنا معنى التَّحضيض المتولِّد منه معنى التَّنديم، بمعنى: أنَّ طلبَهم كان على سبيلِ تحضيض رسول اللّه على الإتيانِ بالملائكة متندِّمين على أنَّه لم يفعل هذا من قبلُ، وتقدير الكلام: هلّا تأتينا بالملائكة، والتَّعبير بـ ﴿لَّوۡمَا﴾ مشربٌ بمعنى التَّمنّي(3).

مناسبة مجيء الطّلب بعد النِّداء:

عمل الكافرين على ترك الرَّسول ﷺ تذكيرَهم وإنذارَهم

قدَّم النِّداء على الطلب في قولهم: ﴿لَّوۡمَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؛ جريًا على مقتضى اللازم من تقديم التنبيه بالنِّداء

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 19/21، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 11/19، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/18.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 14/15، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/527، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 2/254.

(3) السّكاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 307.

أو بغيرِه قبل الطَّلب؛ ليتمكَّن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادى؛ حرصًا من الكفّار على تحقيقِ المعنى في نفسِ رسول اللّه ﷺ لعلَّه يترك التَّذكيرَ والنِّذارة.

فائدة التَّعبير بصيغة المضارع ﴿تَأۡتِينَا﴾:

تــجــدُّد طلب الكافرين الإتيانَ بالملائكة، ليس إلّا معاندةً منهم

عُبِّرَ بصيغة المضارع؛ لأنَّ المرادَ من ﴿لَّوۡمَا﴾ التَّحضيض، ولإفادة تجدُّد طلبِهم في أنْ يأتي الرَّسول ﷺ بالملائكة حالًا بعد حال ووقتًا إثر وقت، أيْ: إنْ لم يكن الآن؛ ففي وقتٍ آخرَ.

نكتة إيثار التَّعبير بلفظ ﴿تَأۡتِينَا﴾:

الــكــافــرون يــطــلــبــون المعجزات، مع أنَّ القرآن هو أعظم معجزةٍ

لّما كان الإتيان بالشَّيء بمعنى إحضاره من غيرِ المكان الذي هو فيه، ولا يكون إلّا فيما عَظُمَ شأنُه، ومنه قولُه تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨﴾ [النمل: 38]؛ كان طلبُهم الإتيانَ بالملائكة دون غيرِه، لعلمِهم بأنَّه أمرٌ عظيم، والمعنى: حُضورُهُمۡ عِنۡدَهُمۡ ليخبروهم بِصِدۡقِهِ في الرِّسالَةِ، فيكونوا شاهدين لك على صدق ما تقول.

دلالة التَّعبير بلفظ ﴿تَأۡتِينَا﴾:

بيان جهل الكافرين، في طلبهم آية الإتيانِ بالملائكة

لّما كان لفظُ الإتيان يُقال لِما يكون المجيء فيه بسهولة؛[1] عُبِّرَ به لزعمهم بسهولةِ أنْ يأتي رسولُ اللّه بالملائكة؛ إنْ كان من الصّادقين، ففيه إيذانٌ بجهلِهم؛ إذ أرجعوا أمر الإتيان بالملائكة إلى الرَّسول ﷺ، وليس إلى اللّه تعالى.

بلاغة مجيء الكلام على خلافِ مقتضى الظّاهر:

يقين الكافرين بأنَّ طلبهم الإتيان بالمعجزة، كان على سبيل التَّعنُّت والتَّكذيب

لّما جاء الطَّلبُ بأسلوب ﴿لَّوۡمَا﴾ المتضمِّن معنى التَّمنّي - كما تقدَّم - أفادَ أنَّهم كانوا يعلمون أنَّ رسول اللّه لن يفعل هذا، وأنَّ طلبَهم ممتنَعُ الحصول، وأنْ لا طماعيَّة لهم بوقوعِه، فدلَّ على أنَّ

(1) الرّاغب، المفردات: (أتى).

طلبَهم على معنى التَّعنُّت والعنادِ والتكبُّر والتَّكذيب، كما حكى اللّه عنهم في الآية الأخرى ﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢﴾ [الإسراء: 92].

نكتة إيثار ذِكر الملائكة:

طلب الإتيان بالملائكة، غرضُهُ التَّصديقُ أو العقابُ

آثروا ذِكر الملائكة لعنادِهم وشدَّة تكذيبِهم، والمعنى: هلّا تأتينا بالملائكة؛ لكي يشهدوا بصحَّة نبوَّتِك وبِصدقِك، ويعضدوك على إنذارِك، كقوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧﴾ [الفرقان: 7]، أو لكي يعاقبونا على تكذيبِنا لك، كما كانت تأتي الأممَ المكذِّبةَ برسلِها[1].

سرُّ إيثار التَّعبير بأداة الشَّرط ﴿إِن﴾:

تجاهلُ الكافرين لصدقِ الرّسولِ الأكرم، لتشكيكِه في صدقِه

عُبِّرَ بأداة الشَّرط ﴿إِن﴾ للإيذانِ بأنَّهم شاكّون في صدقِ رسول اللّه ﷺ في نزول القرآن عليه، أو يقال: لمّا كانوا على علم بصدقِ رسولِ اللّه ﷺ؛ عُبِّرَ بالأداة ﴿إِن﴾ المفيدة للشَّكِّ والخلوِّ عن الجزم في مقامِ الجزمِ؛ ليكون الكلامُ على خلافِ مقتضى الظّاهر على معنى تجاهلِ الكافرين لصدقِ رسولِ اللّه فيما يقولُه أو لتشكيكِه في صدقِه ﷺ.

بلاغة التَّعبير: ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾:

ورود الوصف على نيَّة التّكرار، من بليغ التّعبير

التَّعبير بـ ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أبلغُ في الاتِّصافِ بالصِّدقِ من (إنْ كنت صادقًا)؛ لأنَّ فيه تكريرًا لصدقِه، فإنَّه لا يدخل في مجموع الصّادقين إلّا إنْ كان صادقًا، فالوصف على نيَّة التّكرار، ومعنى الكلامِ: إنْ كنت مِنَ النّاسِ الَّذينَ صِفَتُهُمُ الصِّدْقُ[2].

سرّ حذف متعلّق الاسم المشتقّ ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾:

حذفُ المتعلّق لإفادة عموم صدق ما قالَه رسول اللّه ﷺ

لَمّا كان اسم الفاعل يقوم مقام الفعل في التَّعلُّق؛ دلَّ على أنَّ مُتعلِّقَهُ حُذِفَ لقصدِ العموم، بمعنى: إنْ كنت من الصّادقين، في

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/571، والفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/122، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/67.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/18.

أنَّ اللّه بعثك إلينا، وأنزل عليك القرآن، وفي أنَّ الملائكة يأتون إليك بالوحي، وفي أنَّها تأتي بالعقاب لتكذيبنا، كما كانت تأتي الأممَ المكذِّبةَ لرسلِها، وفي جميعِ ما تخبرنا به، وغير هذا ممّا أتى به رسول اللّه ﷺ، فالحذف يفيد العموم، ويدخل فيه الإخبار بالنُّبوَّة، وأنَّه تعالى أوحى إليه القرآن عن طريق المَلَكِ دخولًا أوَّليًّا[1].

دلالة سوء طلبهم، بالتّحدّي لإبطال الحقّ:

قبحُ الطَّلبِ من سوء الأدبِ

في قولِه: ﴿لَّوۡمَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، لَمّا اقترح الكفّار على رسولِ اللّه ﷺ الإتيانَ بالملائكة بعد ما أُزيحت العلة عليهم بما أيَّده به من معجزاتِه؛ توجَّب اللَّوم عليهم وتوبيخهم لسوء أدبهم في طلبِهم[2]، مؤذنًا بأنَّ طلبَهم على سبيلِ التعنُّت والمكابرةِ والتَّهكُّم؛ محاولةً منهم لإظهارِ اليقين والجزم الثّابت على كون الرَّسول باطلًا في دعواه[3].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/66، والبغويّ، معالم التّنزيل: 3/51، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/571.

(2) القشيريّ، لطائف الإشارات: 2/264.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/122.